اشكالية الجسد الانساني في رسوم مابعدالحداثة

شيماء وهيب خضير

ملخص البحث

ان تفسير الوقائع الفنية او بالاحرى وصفها يؤسس الى فهم ظاهرة ما زالت تأثيراتها واضحة على الفن وان بحثا كهذا في المقابل قد يفيد في تحليل الواقع الجمالي الجديد والذي يعد ابتداءا واحدا من الانحرافات الكبرى في تاريخ الفن. واذا ما نظرنا الى الجسد الانساني كحضور في الاعمال التشكيلية منذ بداياته الى عصر الحداثة فأننا يمكن ان نستخلص الدروس العميقة لهذا الحضور ومعانيها واشكالها ، واتجاهاتها التي عمت العالم بأسره وعليه فأن البحث يقودنا الى ملاحظات واقتراحات نظرية تسهم في معرفتنا لهذا الاتجاه وغرائبيته ومدى التأثير والتأثر المتبادل بين فنوننا والوافد من هذا الاتجاه، حتى يمكن ان نتلمس طريقا ما واذا كانت فنون ما بعد الحداثة تؤشر الى مركزيتها الغربية فأن الدوائر المحيطة بهذه المركزية لم تع الى الان قدرتها على الاختراق وهي بذلك بحاجة الى معرفة عميقة بالاتجاهات التي سادت وكيفيات تدميرها للبنى الانسانية للحداثة ثم الكيفيات التي ظهر بها الانسان وجسده تشخيصا ام تعيينا ام تغييبا لذلك فأن من الاهمية القول بأن الدراسة تعني الوجه الفاحص كي نتمكن من ادراك وجودنا الفني وفهم الاتجاه الذي نسير اليه في فنوننا .

Abstract

Explanation of article events , or discribing it establish to anderstanding an phenomenon which its effects still clear in the art , surching like this may be very usful in the analysis of new art , which considering one of the most important turns in the history of art . and if we look to human body in the art as existenc in the art , from it's begening to the modern age . so we can understand the meaning of this existence and it's directins which cover all the worid and the lead us to thiories and suggestion's help in understand to this direction and the effects between our arts and the external directions.

مشكلة البحث

شهدت حقبة ما بعد الحداثة تضخما متزايدا بالنسبة للأبحاث والرسوم وطرائق العرض المتناولة للجسد التي غدت تكتسح مختلف مجالات الحياة اليومية..مما يدعو للتساؤل عن المنزلة التي اصبح يحتلها حيث يكون المحور الضروري في درس الثقافة المعاصرة وفي حقل التشكيل خاصة. ولما كان كل خطاب موضوعه الجسد هوخطاب اخلاقي وميتافيزيقي قبل كل شيء بوصفه يعبر عن حقيقة الوضع الانساني والسلوك الذي ينبغي توخيه ازاء هذا الوضع لذلك يتعذر على الخطاب الفلسفي والتشكيلي بوجه خاص ان يعي هذا الوضع ويحل اشكالية النظر اليه وهذا ما حدث فعلا في النظرة الفلسفية والمفهومية المعاصرة للجسد من اجل تحليل اجدى للحالة الوجودية التي يعيشها الانسان في علاقته بنفسه وبغيره.

ولعل الفلسفات التي رافقت ما بعد الحداثة قد دأبت اكثر من غيرها (كالوجودية) مثلا على ابراز كيفيات الوجود المتجسد للوعي الانساني في العالم بأعتبار ان الجسد كما قال (مرلوبونتي) :"هو ما يجعلني اتجذر في العالم".[1]

ان الاشكالية الاساس في ضوء ما ذكر هو ان عصر ما بعد الحداثة قد كون نظما جديدة للخطاب الكلي المتمحور حول الجسد ، كالخطاب الاثنولوجي الذي يهتم بضبط الحركات اليومية في مجتمعات مختلفة التي تقتضيها الطقوس الثقافية عموما..والخطاب الجمالي الذي يجعل من الجسد موضوعا للتمثيل الفني وخطاب علم النفس الاجتماعي الذي قدم اطرا تحليلية لوجود الجسد في الحياة الاجتماعية.[2]

وعليه فأن جسم الانسان الموضوعي القابل للوصف والذاتي الذي هو جسم (الشكل)، وكذلك الجسم الذي هو قصدي وزماني وتاريخي اصبح محط اهتمام قطاعات الفن كافة والتشكيل منه على وجه الخصوص.
وسنحاول في هذه الدراسة ان نحدد مشكلتها كما يأتي :

١. في تاريخ الفن ظهر الجسد على مر العصور وفي كل الاعمال الفنية ..حتى في الحداثة وهو الجسد المشخص المرتبط بموضوعه ، وفي حقبة ما بعد الحداثة اصبح للجسد وجود اخر ، او هو اضحى اشكالية في طريقة العرض والوجود الفني.
٢. اصبح كل قول في الجسد انما تستحدثه وتنميه دراسات نظرية وتطبيقية وتتبناه رؤى ومناهج مما يجعل منه ظاهرة، والمشكلة ان الجسد في ما بعد الحداثة له مثل هذا التمثل ..فما هو ؟

اهمية البحث

لابد من الاعتراف بصعوبة قراءة حضور الجسم الانساني في فنون ما بعد الحداثة او تأسيس خطاب تحليلي يتم عبر قراءة الظاهرة الفنية التي تمددت في افاق عدة ليس بالرسم والفن الذي هو محورها بل في مجاورات الفن التي لها دور في قراءة التجارب والخبرات المتنوعة والتي لا تغفل قط معنى (الحقبة) ودلالاتها ..
ان تفسير الوقائع الفنية او بالاحرى وصفها يؤسس الى الى فهم ظاهرة ما زالت تأثيراتها واضحة على الفن وان بحثا كهذا في المقابل قد يفيد في تحليل الواقع الجمالي الجديد والذي يعد ابتداءا واحدا من الانحرافات الكبرى في تاريخ الفن. واذا ما نظرنا الى الجسد الانساني كحضور في الاعمال التشكيلية منذ بداياته الى عصر الحداثة فأننا يمكن ان

---

(١) مرلوبونتي ، المرئي واللامرئي ، ترجمة : سعاد محمد خضر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ١٩٨٧، ص٥.
(٢) ينظر : جلال الدين سعيد ، فلسفة الجسد ، دار امية للنشر، تونس، ١٩٩٥، ص٥ وما بعدها.

نستخلص الدروس العميقة لهذا الحضور ومعانيها واشكالها ، واتجاهاتها التي عمت العالم بأسره وعليه فأن البحث يقودنا الى ملاحظات واقتراحات نظرية تسهم في معرفتنا لهذا الاتجاه وغرائبيته ومدى التأثير والتأثر المتبادل بين فنوننا والوافد من هذا الاتجاه، حتى يمكن ان نتلمس طريقا ما واذا كانت فنون ما بعد الحداثة تؤشر الى مركزيتها الغربية فأن الدوائر المحيطة بهذه المركزية لم تع الى الان قدرتها على الاختراق وهي بذلك بحاجة الى معرفة عميقة بالاتجاهات التي سادت وكيفيات تدميرها للبنى الانسانية للحداثة ثم الكيفيات التي ظهر بها الانسان وجسده تشخيصا ام تعيينا ام تغييبا لذلك فأن من الاهمية القول بأن الدراسة تعني الوجه الفاحص كي نتمكن من ادراك وجودنا الفني وفهم الاتجاه الذي نسير اليه في فنوننا .

اهداف البحث

يهدف البحث الحالي الى التعرف على :

١. حضور الجسد الانساني في فنون ما بعد الحداثة كذات فاعلة ام هو جزء لا يتجزأ من الوسائل والعناصر المشاركة؟
٢. كيفيات حضور الجسد والصياغات الجمالية في هذه الحقبة.

حدود البحث

يمكن تحديد اطار البحث في الجسد الانساني لفنون مابعد الحداثة وتحديد طرائق ظهوره الفني في الرسم خاصة ، وستكون حدوده الزمانية والمكانية في امريكا واوربا.

الجسد والفن

ثمة مظهر عام للفن يتفق الجميع عليه..على ان تأريخه يشير الى حضور فاعل للأنسان في الاعمال التشكيلية.. وان اية مراجعة لهذا التاريخ ستكشف وحدة مشتركة مما جعل المؤرخين قادرين على تتبع الاثر الانساني في اسلوب العرض من جيل الى اخر.ولذلك فأن ايجاد سلسلة النسب المباشر للفن امرا يظل في ثنايا الدراسات التاريخية التي سادت لزمن طويل ربما يمكن عقد مقارنة ما بين ظهور الجسد الانساني او ما نسميه اصطلاحا (التشخيص) بين الاوضاع الاجتماعية العامة للحضارات وبين الاساليب التي تنطوي عليها، كالاساليب الاخلاقية والدينية والاقتصادية والاجتماعية..الخ.

ففي كل مجال نجد ان الصياغة التشكيلية تتكيء الى مرجع وان النقد قد يحاول ايجاد السلسلة النسبية التي تربط مع ظهور الانسان في اسلوب عصر ما مع مظاهر مرجعية اخرى لعصر اخر.

لقد حدثت في الحقيقة ثورات في تاريخ عرض الجسد الانساني او وجوده من عدمه، ثمة ثورة مع كل حقبة ودوريا مع كل قرن تقريبا حيث يكون هناك تغييرات اعمق واوسع تميزه كفترة.

تعتبر تاريخية وجود الجسد الانساني في الرسم نموذجا بيانيا لتطور الميثولوجيا بشكل عام ، وبالتركيز على المنحوتات الحجرية الموغلة في تاريخ الفن نجد ان الانسان كان محورا كأنه اللغة المخزونة منذ المراحل السابقة للكتابة بفترات طويلة. كما ان فناني الانسان البايلوتي (كهنة ذلك العصر) اكدوا على تشريح مواقع معينة في الجسد الانساني وطريقة عرضها كالحمل والولادة بطرائق فنية (تعبيرية) متعددة يشير الى محاولاتهم اعطاء تلك

المناطق ما هو ابعد من الحس الملموس ومن هنا تتسرب الى الذهنية البشرية (ولو بصياغتها الاولية)، المعاني الاولية لما يمكن ان نسميه الاقتراب الميثولوجي الذي يشكل مع عناصر الانتاج الثقافي القدرة على التعبير.[٣]
وهكذا استمر حضور الجسد الانساني حقبا متعددة تعدد الحضارات وصولا الى المدنية ثم الى الثورات العلمية في عصر النهضة وما بعدها..والباحثة لا تريد عرض المفاهيم التاريخية للجسد بقدر الاشارة الى اليها، وتأكيد تنوع طرائق صياغتها التشكيلية، وعليه فأن الحديث عن الجسد وحضوره في الفن امرا مسلم به، لكن الاشارة الى طقوسيات هذا الحضور امرا مهم خاصة وان فترة ما بعد الحداثة تتوفر على طقوس ايديولوجية وصياغات لم يألفها تأريخ الفن من قبل كما سنرى.

ان الطقوس الجسدية هو علامة وجود الجسد المفارقة التي تتفاوت في بنائها ومنازلها كقيمة تمثيل تشكيلية، فكان ان سعى الفن الى مقاربة الروح المقترنة بالهيئة او ما نسميه مجازا ناطقا بأسمها.[٤] واذا ما انتقلنا الى المفاهيم ومنها مفهوم حضور الجسد فأن اول ما يسترعي الاهتمام في هذا المجال هو اختراق هذا المفهوم للثقافة الحديثة التي تبدو وفي كل معاييرها وافرازاتها مسكونة بالجسد وبالسعي لتأكيد حضوره، ولكن طغيان هذا المفهوم لا يعني وضوحا وتحديدا جليا بل يمكن القول ان الجسد من اشد المفاهيم الفلسفية التباسا و استعصاء عن التحديد ويجد هذا الالتباس تفسيره في تأريخ هذا المفهوم في الفكر الفلسفي.[٥]

المفاهيم المعاصرة للجسد

مر العالم الغربي بالمراحل الابستمولوجية* المختلفة بأنفعالات حقيقية كان من ابرزها الانتقال من (عالم التقريب الى عالم الدقة) انه مرور من نمط المعقولية الى نمط اخر، اثر بنظر بعض المفاهيم والمعايير الثقافية التي ادخلت بقوة للمفاهيم الجديدة : الاعتدال، الصحة ، الهيئة..الخ .

ان اناس عصر النهضة يعيشون بسهولة في عالم فريد لم تحدد معالم الظواهر فيه بشكل دقيق، ولم يصنع

شكل (١)

(٣) جمال الدين الخنصور، المرأة-الجسد- من الميثولوجيا الى الايديولوجيا-كتابات معاصرة ، مجلة الابداع والعلوم الانسانية ، العدد٢٩، المجلد الثامن، ١٩٩٧، ص٦٣.

(٤) س –كريم ، طقوس الجنس المقدس عند السومريين ، ترجمة : نهاد خياطة، ط١، سومر للدراسات والنشر، ١٩٨٦، وينظر كذلك للمزيد: ابراهيم محمود ، طقوسيات الروح، مجلة كتابات معاصرة، العدد٣١، المجلد ٨، ١٩٩٧، ص٢١.

(٥) هشام الحاجي ، الجسد، نصوص مترجمة، دار نقوش عربية، تونس.

*الابستمولوجية : المعرفية ، المفهومية.

الزمن فيه بين الاحداث والموجودات نظاما صارما للتعاقب، ويمكن فيه لمن كف عن الوجود ان يوجد ايضا، ولا يمنع الموت فيه كائنا من ان يوجد ايضا ولا يمنعه من ان ينسحب في كائنات اخرى شريطة ان يكون هناك تشابه، فظهرت تبعا لذلك الاجساد الانسانية في الرسم بشكل يعظم قدرة الانسان على الاختراق و الحضور الغرائبي.[٦] (شكل١).

ولم يؤخذ الجسد بمفهومه الجسداني بعيدا عن وجهه الآخر وهو الروح إلا في أواخر عصر النهضة الأوروبية عندما تناوله الرسامون الأوروبيون في لوحاتهم بشكل شبه مركزي في معظم منجزاتهم إلى أن تحول إلى مفردة ثقافية وتاريخية في تلك الحقبة من تاريخ الفن، ثم تسرب الجسد تدريجيا من تلك المركزية ليتشيأ ويصبح رمزا كغيره من الرموز .

ان غطاء العالم الذي كان يحتوي مشهد الوحي والام السيد المسيح ثم مغادرتها عندما غادرت اوروبا مع القرن السابع عشر مع قدوم الفلسفة الميكانيكية مرتكزها الديني، فتحرر التفكير حول الطبيعة الذي قام به العلماء او الفلاسفة من سلطة الكنيسة ومن الاسباب السامية وتموضع الى مستوى اخر : (على علو الانسان).[٧] لقد تحررت الاشكال الجديدة في فن الرسم وفي المعرفة ايضا وبدأت الفردية الوليدة وصعود الرأسمالية تحرر ايضا الاخلاص للتقاليد الثقافية و الدينية، وهكذا اعطى (باسكال) الذي تتواجد لديه الروح الهندسية للعالم الجديد صيغة مضيئة من اجل التمييز بين انماط المعرفة الثلاثة : الحواس، العقل، والايمان وكيف اشار(باسكال) الى المقياس الجديد والخطر في الوقت ذاته الذي جرته الروح الهندسية على الانسان " فما ينفع الانسان ان يربح العالم ويخسر روحه وذاته".[٨]

الجسد في فنون الحداثة

قد يبدو الجسد كأنه العقدة الاساس التي يتشكل حولها العالم الحديث، وان التركيز حول جسد الحداثة (ازمة العصر الكلاسيكي) العقلاني هي الخلاصة التي نستطيع استخلاصها من عدد من تحاليل المجتمع المعاصر او من دراسات اكثر ميدانية حول تطور انماط العيش. ان موضوع تفكيرنا هو تطبيق نقد تحليلي على التصور الحديث للجسد، التشكك بالافكار و الممارسات السارية بأسم الدائم المقدس المتعالي الذي ساد االقرون ما قبل الحداثة. ان الامر يتعلق بمحاولة قلب العلاقة التي اقامتها الايديولوجيا التي تؤكد ان الانسان هو مركز العالم وانه غير مطالب ان يحيل نفسه الى شيء اخر غيره، لا الى ماض ولا الى بحث عن الاصول والتقاليد.[٩] من هنا ظهرت هذه الافكار في الرسم ..

---

[٦] ينظر بهذا الصدد : كواري (الكسندر): من العالم المغلق الى العالم اللامحدود، ترجمة : كاظم صالح، فاليمار للنشر، باريس، ١٩٩٦، ص٢٠٢.

[٧] دافيد ليبرتون، تصور حديث للجسد، الجسد الالهة، في كتاب الجسد، ص١٧٤.

[٨] المصدر نفسه، ص١٧٢.

[٩] من تحرير الجسد الى الجسد المجيد، نصوص مترجمة، مصدر سابق، ص١٤٢.

يرى (هربرت ريد) في معرض تأثير (كوكان) و (فان كوخ) و (بيكاسو) اننا نلمس ابتعادا عن كل انواع التراث، ولا يمكن ان ندعو هذا الابتعاد بالتطور المنطقي لفن الرسم في اوروبا ، لأنه ليس هناك ما يوازيه تاريخيا. " لقد وجدنا انفسنا نتنكر بجهود خمسة قرون من الابداع".[١٠] .

والخلاصة فأن الجسد في مدارس الحداثة ظهر على انه جسد حضاري الي تشريحي، واصبح الجسد جثة قابلة للتحليل ويجب ان يتم احلالها في الالة.

ما بعد الحداثة وصورة الجسد الانساني

لقد كانت االسمة الغالبة في فنون مابعد الحداثة،* هي الثورة على القيم الاجتماعية والاخلاقية السائدة في اوروبا، خاصة في ستينات القرن المنصرم وربما كان مرد ذلك ان هذه الثورة كانت اكثر ضجيجا من حيث الانتاج واقل نخبوية .

لقد سعى الفكر الفني المعاصر الذي لم يشبِعه نسف التابو عن العمل الفني كمبدأ انطلاقٍ فحسب، بل تمادى في تفتيت خلايا هذا الجسد عبر أكثر الوسائط راديكالية والتي تخطت مفهوم "الجمالي" الى حدود الصدمة، ونلاحظ ذلك واضحا في اعمال الفنان الإنجليزي المعاصر داميان هيرست بحيواناته المذبوحة في فيترينات زجاجية تتحلل ويعمل فيها الدود والذباب والعفن أمام الجمهور نموذجا.

لقد كانت حركة تمرد تطرح اسئلة تزعزع الايمان بكل ما هو قائم، لا شك في ان اول هذا الانحراف كان ما يمس الانسان ذاته في وجوده او تمثيله. ولا شك ان التمثيل الانساني في الفنون التشكيلية يعود في مراحله الاخيرة الى (السريالية) ، ولم يغب كليا بعد ذلك عن العمل الفني الا ان الاسهام الاكبر في المادة طرح هذه المسألة على نطاق واسع جدا يرجع الى (البوب ارت) والتيارات الواقعية في الستينات والسبعينات عندما جعلت منها محورا اساسيا للعمل الفني وموضوع جدل اجابات الفنانين حوله.[١١]

غير ان الصورة الانسانية بقيت في حالات كثيرة ذات صفة حيادية كأنما الغاية منها لم تكن لذاتها والبحث عن مضامينها الداخلية، بل التشبث من واقع مجتمع صناعي حديث والتعبير عن موقف نقدي ساخر احيانا من وسائله الاعلامية.

ان مصطلح ما بعد الحداثة في الفن التشكيلي،* يشير فيما يشير اليه الى فنانين لا يرتبطون بتقاليد التصوير السائدة، تناولوا الصورة الانسانية من منطلقات مغايرة تعبيرا عن رؤيتهم الخاصة للعالم والانسان. ففي

---

[١٠] مالكم برادي وجيمس ماكفارلن، الحداثة، ترجمة: مؤيد حسين فوزي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٨٧، ص٢٠.

* استعمل العديد من المفكرين مصطلح ما بعد الحداثة "post modern" للأشارة الى التغييرات التي شهدتها الحضارة الغربية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والتحول من المجتمع الصناعي الى مجتمع المعرفة المعلوماتية او مجتمع ما بعد التصنيع "post –industy" الذي ظهرت فيه المنظمات الضخمة والشركات عابرة القارات والمجتمعات التي سادت فيها التكنلوجيا والالكترونيات ، والتحول من المعرفة النظرية الى التطبيقات العلمية التكنولوجية او ما يطلق عليه (الحتمية التكنولوجية) والتي ساعدت في تحويل العالم الى قرية كوكبية .ينظر : جون ليتشة، خمسون مفكرا اساسيا معاصرا من البنيوية الى ما بعد الحداثة ، ترجمة: فاتن البستاني، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨، مقال فكر ما بعد الحداثة، ص٢٠١.

[١١] ينظر : محمود امهز، التيارات الفنية المعاصرة، شركة المطبوعات للتوزيع، بيروت ، ١٩٩٦، ص٤٥٢.

شكل (٢)

حين كان الاتجاه السائد يميل في الغرب نحو الفن التجريدي (اللاشكلي) قدم الفنان الانكليزي (فرانسيس بيكون ـ BACON) صورة خاصة فريدة وغريبة للأنسان المعاصر في مجتمع مدني صناعي مغلق. نشأ الفنان في وسط ثقافي وفني حدد طبيعة نتاجه الذي تشكل السريالية احدى مكوناته الاساس، على الرغم من انه لم يرتبط فعلا بأية جماعة محددة سريالية او واقعية او كلاسيكية، فصورة الانسان كما تظهر في اعمال بيكون تكونت ببطء انطلاقا من تجاربه الاولى في الاربعينيات لتجسد من ثم وتكتمل في مجموعة من الصور الشخصية وفي اعماله ذات المقاييس الكبيرة بعد سنة ١٩٦١ وفي نتاجه الاخير وخاصة تلك اللوحات الثلاثية التي يمثل بعضها صلب المسيح.[١٢].

استخدم بيكون وسائل التصوير الحديثة : الصحيفة، المجلة، الصورة الفوتوغرافية الطبية، لكنه نادرا ما ينطلق من الواقع المباشر، فهو يصور

ذكرى النموذج بدلا من النموذج نفسه لينقل الينا صورة انسانية مشوهة كما تعكسها مرآة تبدل الاشياء وتجعلها معوجة ومموهة..ولكي يتجنب نقل الواقع او محاكاته لجأ الفنان الى الشريط السينمائي فأنطلق من فلم (الدراعة بوتكمين) للمخرج (ازنشتين)، ليصور ذلك الوجه الصارخ وغالبا ما

كان الصراخ الموضوع المحوري لعدد من لوحاته،[١٣] كما اعاد صياغة بعض اعمال كبار الفنانين امثال (رامبرنت، فيلاسكز،فان كوخ) كما في الصورة الشخصية المستمدة من صورة البابا (اينوسان العاشر) لـ(فيلاسكز) (شكل٢).

هنا لا بد من الاشارة الى ان واحدة من القيم الجديدة لفن ما بعد الحداثة هو بعث صور الماضي الفنية ليس لتأكيدها بل لتحطيم قيمها الجمالية، والتحول بها الى منظور اخر. فأذا كانت قيمة الانسان بأعتباره محورا او وجها او جسدا مميزا، فأن ما بعد الحداثة لا تنظر الى تعطيل الجمالية العتيقة فحسب بل الى تأكيد للذهنية التي تجعل من الانسان واسطة مجردة من محمولاته الاجتماعية ونفي الذات الفاعلة كما كان كل ذلك في افكار (ليوتار) او دعاة التفكيك وغيرها..

شكل (٣)

لقد تغيرت وجهة نظر الفنان في فترة ما بعد الحداثة فهو يحاول ان يكشف ما يمكن ان يفعله عندما يكون الانسان محلا للبحث ، وان الامر الاخر هو ابتكار اشكال انسانية بلغة تشكيلية جديدة للتداخل بين الفنان والاحداث الاجتماعية.[١٤]

---

[١٢] محمود امهز ، المصدر نفسه، ص٤٥٢.

[١٣] جي . روسيل، فرانسيس بيكون ، ترجمة: صالح الاحمدي، مكتبة المجتمع العربي، عمان ، ٢٠٠٧، ص٣٥.

لقد كان (بيكاسو) الاخر يعيد انتاج الحدث الانساني، ومن الامثلة على ذلك لوحة (مذبحة في كوريا) التي رسمها اثناء الحرب الكورية فقد عدها الكثير شرحا عميقا للوحة (غويا) الشهيرة (العاشر من ايار) الصياغة للجسد وطريقة عرضه عادت من جديد بروح الشرح، عادت كنمط بأطراد ليعيد انتاج تنويعات جديدة للجسد او الانسان نفسه، من رسوم اساتذة الماضي العظام المعروفة مثل (لامينوس) و (الطفلة الملكية مارغريت) لـ(فيلاسكز) او (نساء من الجزائر) لـ(ديلاكروا).[١٥] .(شكل٣).

لقد اصبح الجسد في فترة ما بعد الحداثة واقعة ثقافية ، ارضا وعرة يتواجد على اديمها المقدس والمدنس، هذا ما يكشف عنه عمل (ديفد هوكني) من مجموعته (المحفورات) المعنونة (تطور الخليع)، وهي تؤرخ ردود الفعل تجاه عالم الحلم الامريكي بعد ان زار الفنان امريكا لأول مرة عام ١٩٦١ ، انها تعكس عمل النقيضين وتصاحبها تعليقات لاذعة في الغالب.

ان مشهد المجاذيب مثلا يعطينا عددا من الكائنات الالية تتحكم بها اجهزة راديو الترانسستورصغيرة تؤلف جزءا من بنيتها العضوية.[١٦]

شكل (٤)

شكل (٥)

ان هذه الاتجاهات جعلت من الانسان محورا لمعالجة ظهوره ، وان الاعمال الفنية تسعى الى ترسيخ النوع الانساني وتأكيد حاجاته والضغوط المحيطة فيه. لقد حاول (كرستيان ليبيه) ان يقدم الانسان الالي او الحديدي جسد بلا مشاعر او هيكل جسد يقوم على التحول من الطبع اللدن الى الحديدي الصلب الذي يتجمع حول اللامشاعر. (شكل٤) و(شكل٥) لقد قدم كرستيان مجموعة هي اقرب الى النحت يحتوي خطابها المركزي على ان الجسد الانساني الالي لم يعد له معطى بشري، انه اثاث يتجمد ويتراصف وفق متطلبات المحيط التقني.[١٧]

---

[١٤] للمزيد بهذا الصدد ينظر : نيكولاس رزبرج، توجهات ما بعد الحداثة، ترجمة وتقديم : ناجي رشوانة، المشروع القومي للنشر، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة، موضوع جدولة الحداثة وتلخيصها، ص٢٥٣ وما بعدها.

[١٥] ينظر : ادور لوسي سمث، الحركات الفنية بعد الحرب العالمية الثانية، ترجمة: فخري خليل، مراجعة : جبرا ابراهيم جبرا، دار الشؤون الثقافية ، بغداد، ص٤٤-٤٥.

[١٦] ادور لوسي سمث، فن ما بعد الحداثة، ترجمة : فخري خليل، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٠، ص٣٠-٣١.

[١٧] من دليل معرضه الخاص، ٢٠٠٣، Territoires nom Christian Lapie ,du

وقد اتبع الفنان الالماني (هورست جانسن)،(شكل٦) طريقة عرض الصورة الانسانية بأشكال اعوجاجية معبرا عبرها عن (الانا) لديه الخاصة بأسلوب يذكرنا بـ(رامبرنت) ويتمثل هذا الاتجاه بالتساؤل حول موضوع الانسان الممثل في اعماله بأشكال مبسطة ومختزلة وشبه الية. (شكل٦) .

معبرة عن قلق الانسان المعاصر وتبدو هذه الصورة الانسانية اقل تعقيدا بل اكثر سذاجة في اعمال هورست فهي قريبة من قطع الحلوى التي تصنع قبل اعياد الميلاد .

عالم اخر متميز بغرابته وعنفه هو عالم (فلاديمير فيليكوفيك) الفنان اليوغسلافي الذي تناول موضوعا وحيدا ولم يتخل عنه في اعماله كلها هو الجسم الممزق ، المشرح، المهشم ، المشوه بما يختزنه من الالام التي تفوق الوصف بما هو اختصار للمسافة بين الولادة والموت..فالجسم الانساني وتحولاته الحيوانية (كلاب وجرذان) يشكل حقلا لا ينضب لتقصيات معقدة في الامكنة الخالية الا من اثار التعذيب، فهو جسم اسقط في الفضاء ولادة او قفزا او عدوا.

والولادة تحتل المكانة المحورية في اعماله الا انها ولادات مأساوية افواه فاغرة تتضور، صراخا تقذف طفلا مشوها او جرذا ، وثمة وثائق فوتوغرافية ترافق المشهد المذهل بوحشيته وقد تزيده غرابة الادوات الجراحية الموضوعة قرب النساء المواخض ، لأنها تمثل في الوقت نفسه ادوات التعذيب.

كأنما كانت الولادات كما تمثلها اعمال فيليكوفيك مرادفا للرعب ، والسؤال المطروح حول الغاية من العذاب الذي يتعرض له من يعطي الحياة يبقى غامضا وتختلف الاجابات عنه فثمة من يعتقد ان غاية الطفل المولود هو طرد للذكورة من الجسم الامومي لأنه قائم على عدوانية كامنة

او يفسر الولادة على انه تفجر لأشكال التكاثر ، وقد تكون صورة المرأة وما يرافقها من اشارات ذات دلالات على متعة العذاب او لذة العذاب (كما يسميها بارت).

هكذا تطرح ما بعد الحداثة مصباتها على الجسد وتنظر اليه من زاوية الذات الذي يتشكل جسدها جزءا من هويتها. والحق ان الجسد قد اصبح من (باختين) الى body shop ومن ليوتار الى لباس راقص ملتصق بالجسد شاغلا شديد التواتر من شواغل الفكر ما بعد الحديث، و"لقد امتلأت المكتبات بالاعضاء المشوهة والجذوع المجلودة والاجساد الموشومة المعاقبة او الراغبة.

وعلى هذا الاساس استوحى الرسامون افكارا تلامس مقومات الجسد، وبدأ بالفعل التلاعب في حيثيات دلالاته من اضافة وحذف. لقد اصبح بهذا المعنى المادة الخام والطيعة والقابلة الى التنوع، وكأنه شديد التماس بمستوجبات الازمنة ما بعد الحداثية وتم استنهاض الشفرات الثقافية للجسد بأظهارها حزمة من القيم المضادة لطبيعته، هاجسها افتضاح المخبوء والتفكيك العضوي للمقدس وتبديد الجسد الاجتماعي عبر سرد تشريحي ناقد للأشخاص وللمجتمع على حد سواء.. ذلك المجتمع الذي لا يقر بهزات قيمه وافراده عبر الفن ولا يؤمن بتعددية المنابر القادرة على التحول المفاجيء، بقدر ما يؤمن في تعقيم الفرد وبرمجته داخل حقل ثقافي شديد الصرامة على اعتبار ان (المثالية) لا وجود لها، فالاشخاص هم وحدهم ما يمكن ان يلقبوا بالمقدس والتاريخي الخاص بهم. وعليه استوحى (وارهول) وهو من فناني (البوب ارت) من هذه القيم الانحرافات والاسقاطات في ما يسمى (المحاكاة الساخرة ـــ parody) وهي تمثل فني لما بعد الحداثة. تقول (هاتشون) : يمكننا ان ننظر الى العرض الجسدي بأعتباره نموذجا اوليا ودائما، قائما على اعطاء شفرات لا نهائية.

ان عرض الجسد في فن ما بعد الحداثة هو تأكيد على فكرة (الحدث) وحالة من عدم الاستقرار والتقلب كنتيجة فنية او شكل فني يتحدى نفسه وحدود تعريفه ويسعى الى زعزعتها . لقد عرض فن ما بعد الحداثة الجسد تحت دثار هذه الافكار وخلاصتها :

- المحاكاة الساخرة.
- فن الفزع الجسدي.
- الاعلان من خلال الجسد.

فالمحاكاة الساخرة قد تأكدت في عمل (دوشامب) في رسمه للموناليزا ومحاولة قلب التاريخ والحدث مع المحافظة على الحركة. لقد شكل الانحراف شيئا اخلاقيا من خلال نفي التاريخ والاخلال بتوازن انجازاته.

انه شيء يدل على الضمور البالغ للمضمون، كما اصر (وارهول) على ان الموضوع في عمله كان دائما يشكل اهتماما ثانويا من قبله، لكن المرء يعي اكثر فأكثر ان هذا الاهمال المتعمد للموضوع لا يملك اي مسوغ نظري في ذهن الفنان.(شكل١٠).لقد قام الفنان الانكليزي (انطوني دونالدسون) بأستخدام صور المخيلة الشعبية (عاريات او شبه عاريات)، كعناصر في صور هي اقرب الى ما اسميناه بـ(الحافة الصلبة) في الرسم التجريدي، سبب ذلك ان صور الفتيات تحتل مكانها في تكوين العمل وحين يعمد الى حذفها يبقى التأثير على حاله تقريبا من حيث احتلال الجسد في موقفه وشكله.

اما في مجال الفزع الجسدي فقد قام (كلاين) بجمع فتيات عاريات ملطخة اجسادهن بصبغة زرقاء يلقين بأنفسهن على قماش مفروش ارضا، لقد نفذت هذه الاحتفالية امام الناس بينما كان عشرون عازفا يعزفون لحنا رتيبا وضعه كلاين بنفسه لحنا منفردا متواصلا عشرة دقائق، تعقبه فترة صمت لعشرة دقائق اخرى ، وقد سجلت هذه الطبعات في فلم (عالم كلاسب) mode cane من هذا العرض يتضح ان الجسد اصبح المادة الاولية لأنتاج الرسم، ليس كونه واقعة ذات مضامين تاريخية وانما هو استثمار شكلي للجسد في انتاج عنفه الدلالي ومرجعياته ، وتقويض عناصر السرد المختلفة فيه واقامة صراعات حركية وتصادمات بين اللون والجسد (الفرشاة) والتأكيد على أن الفنان يرى أن الجسد مادة خام حية تختلف في مدلولها وقوة تأثيرها عن غيرها من المواد . (شكل٧) و (شكل٨).

شكل (٧)

شكل (٨)

اما الجسد في الحقل الاعلاني فقد ظهر على نطاق واسع وبدأ تأثيره الى اليوم في الكشف عن ذهنية ما بعد الحداثة في تواصلها التداولي ، فقد اصبح الجسد مجالا للظهور في اعمال فنية ملأت الشوارع والساحات والبست المدن ثوبها في مجالي التزيين والدلالة ، لقد بدأ هكذا في اعمال (دوشامب) الذي صور بورتريهات عدة لسيدات وشابات.

وهذه الصورة عكست فكرة الشيء المتحرك ببطء او غير ثابت ، ربما لم تحدث هذه الحركة الداخلية في اللوحة صدى واضحا وتعيينا معينا لمرأة معروفة كما حدث في تصوير البورتريهات على مر الازمنة ، فلوحة (المعشوقة) تظهر امرأة غير معروفة حتى لدوشامب نفسه ، امرأة عادية يراقبها وقد صورها كموديل عار في اثنين من الاجسام الادمية المرسومة كأنها سوق سميكة كثيفة لها رؤوس كالزهور. بدأ دوشامب بالاقتراب الى الذات الاعلانية في لوحة (العروس) الاعلانية حيث من الصعب متابعة ماذا يفعل هذا الجسد اضافة الى التدلي والرغبة الجنسية الكامنة خلف ستار قوانين المجتمع التي تقدس او تزود هذا الجهاز بحزمة من الاضافات او التجميل خارج الطبيعي.

ان فن الاعلان قد ظهر رد فعل لأفكار ما بعد الحداثة وتطور على مديات لا تعرف الحدود، ففي نيويورك وجد دوشامب علامة تجارية او رمزا مطبوعا عن القلاع بالمينا الصغيرة، كأعلان عن ماركة تجارية للألوان تدعى (سابولين) حيث لمسها بلمسة من لمساته الاستخفافية محولا اياها لعمل من اعماله جاهزة التصنيع ولقد غير دوشامب الحروف ولم يستطع ان يعزل البنت الصغيرة من خلال وضعها داخل الزجاج الذي رسمه بالقلم الرصاص ، لعل ها العمل يعود رجوعا لفكرة العروس الموجود اسمها في العنوان ، ولقد القى دوشامب خطبة باللهجة الامريكية قائلا :" Apole in air " حيث استمتع بالتلميح الجنسي.

في صورة الاعلان للسلع توجد بنت بريشة هادئة تطلي اعمدة سرير له شكل قوي التركيب مع فرشاتها الجافة الصغيرة، ومثل الحروف الموجودة في الجانب الايمن فهي تطلي باللون الاحمر، ربما يمثل اللون الاحمر شيئا من الالم ، احالات متعددة تحتمل التأويل.

ان ظهور الجانب الاعلاني للجسد الانساني في اعمال ما بعد الحداثة قد اسهم في ابانة الجوانب المخبوءة داخل الجسد وخارجه، لذلك فأن الجسد قد يؤدي بعد هذا التوجه الى ظاهرة الاستنساخ والطباعة . ثم تفعيل الدور الاجتماعي للجسد واتساع دائرة التلقي .

ان فرادة استعمال الجسد في كونه يمثل عملا فنيا ويظهر اثار لمسته قد اثارها (المفاهيميون) ومن قبلهم (دوشامب) واثارتها كذلك حركات ضد الفن مثل (دادا) في بداية القرن الماضي و(الاختصاريين) في منتصفه. لقد تم تقويض الجسد المقدس والمعروف في الحداثة وينبغي ان لا ينكر احد ان الفن المعاصر قد استفاد من تلك التطورات الشكلية الحاصلة في الفن الحديث الى ابعد مدى ووظفها في معالجاته للموضوعات التي تناولها ولكنه سخرها لأغراضه.

ولاشك ان ما تنبه له (بنجامين) في الاستنساخ الالي والتحولات التي طرأت على فكرة حضور الانسان المتعدد ووظائفه الجديدة (الجمالية) ستؤثر بلا شك في فن العقود الثلاثة الاخيرة من القرن المنصرم ، وذلك من بروز محتوى التساؤل عن فنية العمل الاعلاني المنغمس اجتماعيا وبيئيا وسياسيا بالمعنى الواسع المنعكس على سلوك الناس اليومي والعلاقات الاجتماعية بين البشر.

لقد اتجه البعض الى تأكيد قيمة الجسد واهميته في التداول المعاصر سواء في الحقل الفني او ظاهرة التواصل الانساني.

نتائج البحث

يتبين من خلال البحث ان للجسد الانساني مقومات واظهارات ومخرجات في فن مابعد الحداثة تقوم على التالي :

١. ان تاريخ الفن كان حافلا بحضور الجسد في الفن، وكان على قيم الحداثة القابلة لأظهاره في شقيه الخيالي والواقعي ، لكن مابعد الحداثة اعادت انتاجه ومن ضمنها انحرافاته أي قسره وتشويه معالمه الايقونية والتاريخية ، فالفكر الفني المعاصر لم يشبِعه نسف التابو عن العمل الفني كمبدأ انطلاقٍ فحسب، بل تمادى في تفتيت خلايا هذا الجسد عبر أكثر الوسائط راديكالية والتي تخطت مفهوم "الجمالي" الى حدود الصدمة.
٢. دخول الجسد منعطف التشكيل الفني جعله يخرج من ذاتيته و كينونته البشرية الحية ليدخل إلى عالم آخر (بيوذاتيintersubjectif) أضحى فيه مجرد رمز داخل لغة التشكيل الفني.
٣. محاولة فناني مابعد الحداثة اعادة الواقعة الجسدية بطريقة مغايرة مثلما اعاد الفنانون انتاج اللوحات الكلاسيكية مثل اعدام الثوار لـ غويا ، والحرية تقود الشعوب لـ ديلاكروا .
٤. فن يحمل طيات السخرية في الانتاج الانساني الحداثي والجسد وسيلة من وسائل هذه السخرية.
٥. اصبح الجسد مادة للرسم ، أي التحول من الحضور الى الوسيلة.
٦. ظهور الجسد الاعلاني ، أي التحول من الوجودي الى تحقيق تفاصيل الجسد الشهواني والتداولي .

المصادر

١. ادور لوسي سمث، الحركات الفنية بعد الحرب العالمية الثانية، ترجمة: فخري خليل، مراجعة : جبرا ابراهيم جبرا، دار الشؤون الثقافية ، بغداد.
٢. ـــــــــــــ فن ما بعد الحداثة، ترجمة : فخري خليل، الموسوعة الصغيرة، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠٠.
٣. ابراهيم محمود ، طقوسيات الروح، مجلة كتابات معاصرة، العدد٣١، المجلد ٨، ١٩٩٧.
٤. جلال الدين سعيد ، فلسفة الجسد ، دار امية للنشر، تونس، ١٩٩٥.
٥. جمال الدين الخنصور، المرأة-الجسد- من الميثولوجيا الى الايديولوجيا-كتابات معاصرة ، مجلة الابداع والعلوم الانسانية ، العدد٢٩، المجلد الثامن، ١٩٩٧.
٦. جون ليتشة، خمسون مفكرا اساسيا معاصرا من البنيوية الى ما بعد الحداثة ، ترجمة: فاتن البستاني، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٨، مقال فكر ما بعد الحداثة.
٧. جي . روسيل، فرانسيس بيكون ، ترجمة: صالح الاحمدي، مكتبة المجتمع العربي، عمان ، ٢٠٠٧.
٨. دافيد ليبرتون، تصور حديث للجسد، الجسد الالهة، في كتاب الجسد.
٩. س -كريم ، طقوس الجنس المقدس عند السومريين ، ترجمة : نهاد خياطة، ط١، سومر للدراسات والنشر، ١٩٨٦.
١٠. كواري (الكسندر): من العالم المغلق الى العالم اللامحدود، ترجمة : كاظم صالح، فاليمار للنشر، باريس، ١٩٩٦.
١١. مالكم برادي وجيمس ماكفارلن، الحداثة، ترجمة: مؤيد حسين فوزي، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٨٧،
١٢. محمود امهز، التيارات الفنية المعاصرة، شركة المطبوعات للتوزيع، بيروت ، ١٩٩٦.
١٣. مرلوبونتي ، المرئي واللامرئي ، ترجمة : سعاد محمد خضر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد ، ١٩٨٧
١٤. نيكولاس رزبرج، توجهات ما بعد الحداثة، ترجمة وتقديم : ناجي رشوانة، المشروع القومي للنشر، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة، موضوع جدولة الحداثة وتلخيصها.
١٥. هشام الحاجي ، الجسد، نصوص مترجمة، دار نقوش عربية، تونس، (د- ت).
١٦. Ihab Hassan, the post modern, Ohio statc university press, Colambus, ١٩٨٤.